مكناس في مهرجانها المسرحي .

د . حسن المنيعي .

تتوفر مدينة مكناس على مسرح كبير انتصب في الهواء الطلق وسط حديقة عمومية تعرف باسم « الحبول » ففي هذا المكان نظمت جمعية « البعث الثقافي » بمشاركة جمعية « العمل المسرحي » المهرجان الاول للفنون الدرامية وذلك فيما بين 4 و 8 يوليوز 1974 . وقد لقيت هذه الظاهرة الفنية نجاحا منقطع النظير نتيجة مساهمة بعض الفرق الجادة كفرقة الكوميديا المراكشية والنهضة المسرحية (الخميسات) ومسرح الفصول (مكناس) .

وحيث ان المهرجان كان قد نظم تحت شعار « من اجل تصحيح عطاء مسرحي مغربي اصيل » فان المجموعات المشاركة قد برهنت من خلال عروضها القيمة بأن السبيل الوحيد للحصول على مسرح فني اصيل يتحدى الاحتراف هو الانفلات من الوصاية ، اى من قبضة اشراف الدولة التي توجه المهرجان الرسمي للهواة ، ثم الانسلاخ عن تقاليده البالية قصد خلق حوار دائم مع الجماهير العريضة عن طريق لقاءات اخرى تتجلى في المبادرات التي تقوم بها بعض المنظمات الثقافية كالمهرجان الاول لمسرح الحبول ، الذي اكد بكل وضوح ان الهواة في المغرب يوجهون انظارهم واهتماماتهم الى قضية الانسان المغربي قبل كل شيء.

لذا فان النتاجات المعروضة كانت تلتحم بتقاليدنا ، كما كانت تطرح آراء الجماهير ، وتسعى الى تسليط الاضواء على مركباتنا الاجتماعية وقضايانا اليومية . ففي « موكب السعيان » يعرض علينا « تيمود » — وبأسلوب فني موجز — علاقة باعة الجرائد مع الصحف وقراء الصحف اليومية . ومع ان الموضوع كان ينضبط في هذا الجانب ، ويرصد نماذج هامشية من المجتمع ، فانه يقدم لنا تشريحات حياتية عديدة تجعلنا نقف على حقيقة الانسان المسحوق الذي يناضل من اجل البقاء لانه « مهما ماتت الافكار فانه تولد افكار اخرى » . وبلورة هذه الفكرة فقد عمد « تيمود » كعادته الى اسلوب الفرجة التي توحي بالفرجة ، فاعتمد على

الرقص ، والغناء ، والحوار الشعرى ، وتكرار الحركة ، والمواقف الصامتة مما جعله يتوغل فى عملية « المسرحة » الى درجة نسيان الجمهور . وبالتالى فقد عاب عليه بعض الحاضرين فى مناقشة العرض عدم تطابق ايديلوجية النص مع الشكل وسقوط الصراع الاساسى الذى اصبح وهميا خصوصا عند ما ندرك فى النهاية ان باعة الصحف كانوا قد هدموا الفكر المشلول دون قاعدة فكرية ودون سابق اعلان .

اما فى مسرحية « سانف لونجة » التى الفها واخرجها عبد الكريم برشيد ، فان الحدث يقوم على اسطورة امراة تبدو سجينة فى مقصورة . ومن خلال هذه الفكرة فقد اراد الكاتب — المخرج تحديد مصير الانسان بعد ان دفعه الى البحث عن هويته . لذلك نرى منذ البداية ان المؤلف فى المسرحية — الذى يرمز الى الخالق — كان قد افترض تقديم عمل لا يعتمد على الصراع . وكان قد ابتدع لتاديه الادوار اشخاصا يرفضون كل اشكال ابطولة ، الا ان ايصال الفكرة الاساسية كان يسلك مسارب متعددة تستغل التاريخ كلوحة خلفية ، وتدعو المتفرجين الى تطبيق مراحله واسقاطها على وجودهم الباطنى او الخارجى .

وقد كان يتبين لنا من خلال تتابع اللوحات ان كل واحدة منها كانت تبدو وكانها تردم الحدود الاستتيكية بتقدم عناصر انسانية جديدة انطلاقا من خطيئة آدم الى محاولة تمركزه فى حيز الوجود المتناقض الذى يدفعه الى ان يعيش الموت ليحيا الحياة من جديد سواء عن طريق الرفض او الفعل الثورى (الحسين — سندباد — الحلاج — على بن محمد قائد ثورة الزنج) . وباختصار فان مسرحية « لونجة » رغم ما يتملكها من تكرار فى بعض المواقف ، تعد عملا فنيا رائعا يصف الانسان فى شموليته عن طريق تقنيت عناصر التاريخ وتسخيرها لبناء واقع معاش .

وفيما يتعلق بمسرحية « الرهوط » التى توجت اعمال المهرجان، فان هذا العمل قد فرض نفسه كتجربة جديدة تضاف الى التجارب الاخرى التى ابدعها « شهرمان » لفرقة كوميديا المراكشية . اما تدخل المخرج عبد العزيز الزيادى فقد كان يتجاوز لمساته الفنية السابقة وان كان قد استعمل نفس الاسلوب المدهش الذى لمسناه فى « نكسة ارقام » و « الضفادع السوداء » . فالتشخيص كان يصاحبه الغناء الجماعى الذى يعمق الايقاع الدرامى ومع ان الحدث كان يتناول قضية فلسطين ، فان المؤلف قد جعل منه مطية لمعالجة اوضاعنا الفاسدة عن طريق طرح علاقات انسانية (الظالم والمظلوم) وتجسيدها باسلوب حى نابض ، وتركيبات ذكية تستغل المسرح داخل المسوح ، وتستلهم تقاليدنا الدرامية القديمة .

واخيرا ماذا يمكن أنْ يقال عن هذا اللقاء ؟

ان اول ما يميزه هو مستواه الرفيع سواء فيما يرتبط بجانب العروض او المناقشات التي دارت حولها والتي كانت تتجه في الغالب الى النقد العلمي الصريح الذي يعتبر من العوامل الاساسية الرامية الى تعرية كل جوانب الازمه التي يعاني منها المسرح المغربي .

فعلى عكس ما جاء في مقال لا نعرف نوايا صاحبه (العلم الفني 21 يوليوز 1974) يبدو للجميع ان المهرجان كان يسعى — اساسا — الى اهداف سامية غير التي تحدث عنها صاحب المقال المذكور عند ما اكد بحس سذاجه اننا كنا نحاول من وراء مشروعنا « تنشيط » المدينة التي احتضنت المهرجان ومزاحمة وزاره الشبيبه والرياضه . والحقيقة ان غايتنا بعيدة عن ذلك ، لاننا نتحدى مهرجان الوزارة التي ذكرها لانه لم يحقق اي شيء رغم مرور سنوات عديدة على ظهوره . اما « التنشيط » فهو غاية تانويه . وبما اننا نريد خلق تقليد من شانه ان يشمل سائر المدن المغربيه الاخرى فاننا قد حرصنا على انتقاء اجود الفرق الهاويه والتعامل مع المع الفنانين الشباب ليعيش جمهور المدينة في « تزامن » مع ابداعات مسرحية بعيدة عن التهريج ، توجه كل عنايتها الى البحث والتاصيل ، وتعمل جادة على التقاط انفئات العريضة لمجتمعنا ونقد سلوكها والتركيز على قضاياها بكل صراحة الشيء الذي لا نجده في المهرجانات الرسمية .

وعلاوة على ذلك فاننا نريد استقطاب المهتمين بالفن الدرامي لتبادل الرأي ولتوفير فرص البحث والدراسة ، كما اننا نريد بناء « مناطق » مسرحية لتبادل التجارب دون اقبارها وللتعريف بكل الاعمال النظيفة وتقييمها وترويجها حتى يتمكن اصحابها من ربط علاقات متينة بالمثقفين وخصوصا بالجماهير المتعطشة التي سئمت العروض المجانية لان الواجب يفرض علينا ذلك ، والا فلن يكون في امكاننا ان نتجاوز الازمات، ونحكم الحواجز ونجعل من المسرح ميدانا لانفتاح الافراد وتواجدهم وتثقيفهم .